ملابس نساء الغجر في مصر دراسة ميدانية وتحليلية على محافظتي الشرقية وبني سويف

Gypsies Women Costumes in Egypt Analytical and Field Study On Sharqia and Beni-Swiff Governorates

أ.د / ثناء عز الدين خليل

أستاذ التصميم بقسم الموضة سابقًا - أكاديمية الفن والتصميم - السادس من أكتوبر

Prof. Sanaa Ezz El-Din Khalil

Professor of Design, Department of Fashion - Academy of Art and Design - 6th of October

SanaaEZZ52@gmail.com

أ.د/ خالد محمود عبده الشيخ

أستاذ بقسم الملابس الجاهزة - كلية الفنون التطبيقية جامعة حلوان

Prof. Khaled Mahmoud Abdo El-Shikh

Professor, Department of Ready-made Garments - Faculty of Applied Arts, Helwan University

dr.elsheikh@hotmail.com

م.م/ غلا الطوخي إسماعيل

مدرس مساعد - كلية التصميم والفنون الإبداعية - جامعة الأهرام الكندية

Assist. Lect. Ola El-Tokhy

Assistant Lecturer - Faculty of Design and Creative Arts - Al-Ahram Canadian University

olaaaeltoukhy@gmail.com

مستخلص

(Gypsies) هم قوم جُفاة منتشرون علي هامش المجتمع في جميع القارات، على شكل جماعات منغلقة نفسها، وتتسم أحوالها بالغموض، يتمسكون بعاداتهم الخاصة ويرتبطون بحبل سريّ واحد من أنماط العيش والسلوك والأخلاق وعشق الفنون، ويتلونون في أهم سياقات الحياة وعلى رأسها الأزياء في كل بيئة يحلون فيها، ويعتبرون ذلك نوع إلزامي من التوافق والتكيف الاجتماعي. هم قبائل بلا هويّة توحّدهم، ولا قوميّة تجمعهم، ولا وطن يحلمون بسيادته أو بالعودة إليه يومًا، مجموعات آمنت أن كل الأرض وطنهم وأن التسكع لعنتهم، لا أصل لهم سوى عاداتهم وتقاليدهم.

على أرض الواقع لا نستطيع أن نتحدث عن أعراق وهويّات الغجر، فهويّتهم واحدة وهي التيه، وهم الغرباء الرُحَّل، فحين طرق هؤلاء الغجر أبواب العالم فقد أثاروا دهشة كبيرة، وتوارت النظريات بشأن أصولهم، وعبر القرون نجحوا في أن يحافظوا على هوية مميزة، وأن يظهروا قدرة فائقة على التكيف والبقاء. ومن الطبيعي أن كل شعب يسكن الغجر بينه يرى فيهم أنهم جماعات مميزة ومختلفة، فهم لا ينتسبون إلى ثقافة معينة في العالم نظرًا لأنهم لم يتبنوا ثقافة بعينها، وتدل الدراسة التاريخية للغجر أنهم شعب حامل لثقافة شعوب أخرى، سواء كانت للغجر أساسًا ثقافتهم الخاصة أم لا، وهو ما انعكس على ملابسهم وإكسسواراتهم، وهذا ما ستناوله في هذه الدراسة.

وفي ضوء ذلك؛ لا نشك في أن أزياء الغجر قد تأثرت ملامحها وأبجديتها بكثير من الشعوب التي مرت عليها أثناء ترحالها، والتي عاشت أو تعيش بينها، ويفسر ذلك التشابه في بعض العناصر والبناء للملابس بين جماعة غجرية معينة، وبين شعب غير غجري. ونأخذ مثال على ذلك ملابس نساء الغجر في مصر، حيث تحتوي أزياء نساء مجتمع الغجر عادةً على صور البيئة التي تنشأ فيها، وتفاصيل من الحياة التي تعيشها، وبالقدر نفسه يمكن أن نلمس الارتباط بين طبيعة حياة المرأة في

مجتمعها والظروف الجغرافية وقطع الزي وشكله وبنائه والمواد المصنوعة منه وزينتها. وتهدف الدراسة إلى دراسة طبيعة جماعة الغجر في مصر بوجه عام، ومحافظتي الشرقية وبني سويف بوجه خاص ودراسة أثر البيئة الاجتماعية على جماعة الغجر، من خلال دراسة وتحليل أزياء النساء الخاصة بهم.

كلمات مفتاحية:
الغجر؛ المرأة الغجرية؛ التراث الشعبي؛ الملابس والأزياء؛ ملابس الغجر.

Abstract:

Gypsies are rough people spread over the community marginally all over the continents in the form of closed groups. Their conditions are characterized by mystery, they are highly adhering to their own customs in terms of life style, behaviors, morals and art passion. They are distinguished in one of the most important life contexts namely costumes or fashion in every environment they reside within and they consider it as a mandatory type of social adaption and consistency. They are tribes having no unified identity, nor nation combining them nor homeland to control over or return to one day. They are groups believing that all countries are their homeland but their delay is their curse. They have no customs nor traditions.

In real life, we cannot talk about the race nor identity of gypsies. Their identity is the same, i.e labyrinth, they are stranger travelers. When those gypsies appears in the world, they arouse great wonder and the thesis behind their origin are disappearing. Along centuries, they succeeded in keeping their distinguishable identity and showing great ability on adaption and survival. Naturally, any people within which the gypsies live, see them as different and distinguish groups as they do not belong to special culture in the world as they do not adopt certain culture. The historical study of Gypsies shows that they are people holding over other peoples' culture whether those Gypsies have their own culture or not and this is reflected on their costumes and accessories and this will be handled in this study.

In the light of this, we have no doubt that Gypsies costumes and their characteristics are affected by the peoples they passed through during their travelling and the peoples with which they were living or are living. This illustrates the similarity in some elements and basis of costumes among certain Gypsies group and non-gypsies people. For example, the costumes of Gypsies women in Egypt as the costumes of gypsies women include often the images of the environment where they grow up as well as some details of the life they live. Similarly, we can see the linkage between the nature of women life in their own community, the geographical conditions and the costumes, its form, structure, the materials of which it is made and its accessories. The study aims at studying the nature of gypsies in Egypt in public and Al-Sharqia and Beni-Swiff governorates in particular as well as studying the impact of the social environment on Gypsies through studying and analyzing women costumes.

Key words:

Gypsies of Egypt; Roma groups; Gypsy clothing; Gypsy heritage

المقدمة

تُشكل الملابس والأزياء، مثل الفنون والعمارة والأدب والموسيقى، مرآة تنعكس فيها جميع الجوانب الثقافية، وعلى غرار جميع الظواهر الثقافية، فإن الملابس والأزياء أداة ناقلة للمعلومات الخاصة بالمجتمع، الذي تشكلت فيه سواء المادي أو الرمزي. وقد أدت الملابس والأزياء دورًا اقتصاديًا مهمًا في المجتمعات المختلفة عبر السنين، وكانت بمثابة مؤشر عن الحالة الاقتصادية، كما أن الأقمشة بأنواعها ونماذج صياغتها وتشكيلها وتفصيلها تُعَدّ علامات مميزة تعكس المكانة الاجتماعية والاقتصادية لمَنْ يرتديها، كما أنها تُشكل وبشكل رمزي القيم الدينية والأعراف السياسية للمجتمع.(١)

الأزياء في تعريف علماء اللغة تعني الهوية المميزة للشعوب.(٢) والأزياء الشعبية يمكن تعريفها بأنها أزياء خاصة بالعامة من القرويين أو سكان الريف بصفة عامة وأيضًا الطبقات الشعبية في المدن، وهي أزياء لا تنصاع لضوابط الفن المثقف وتتصف بمجاراة العرف والتقاليد والنظم الاجتماعية وتنسب إلى الجماعة الشعبية، فهي تبدعها بفطرتها وذوقها الخاص.

وقياسًا على هذا التعريف فنجد أن الأزياء الغجرية يصح عليها الوصف السابق، لأنها أزياء خاصة بمجتمع بدائي، وناتج فطري تشكل من خلال الموروثات والتراث المجتمعي في ثقافة المجتمع الغجري، نتيجة تفاعل الإنسان الغجري مع البيئات المختفة التي رحل إليها وأندمج معها، فهي تعتبر فن منسوب لثقافة شعب وليس فرد، بها مزيج مختلف من الحياة التي عاشوها وأجزاء من ثقافات شعبية متعددة.

والأزياء الشعبية بوجه عام هي الأزياء المتوارثة التي تميز أفراد مجتمع بعينه عن غيره في المظهر العام.(٣) وأزياء الغجر مجهول صانعها لم يستدل على مبدعها، وكأنهم اتفقوا جميعًا على رسم ملامحها، وتكوين أبجديتها لتعبر عنهم، وتشير إليهم، لتصبح شاهد صامت بألوان زاهية عن حياة بائسة. لذا بالغوا في تفاصيل وألوان ملابسهم وأحجام مكملاتها للفت النظر إليهم، فأخذ منهم البعض وتأثر البعض الأخر وتأثروا هم بآخرين.

وتُعَدّ الأزياء الغجرية تراثًا مميزًا عن المجتمعات البدائية بالنسبة للمجتمعات المصرية والأجنبية، تكشف هذه الأزياء عن مكنونات وثقافة ومدلولات مجتمع كامل وهو المجتمع الغجري، تعكس أفكار وثقافة المجتمع الغجري وما يتمسكون به من عادات وتقاليد خاصة أبدعها العامة من الغجر، وتوارثتها الأجيال جيلًا بعد جيل، وطوعوها بما يلاءم خصائص وظروف بيئتهم، فهي أزياء أفرزتها الثقافة مع الأيام، بشكل فطري عميق وتلقائي، ترتبط بجذور ماضيهم، وتضيف قيمة وملامح خاصة لمجتمع الغجر، تعبر عن روح الجماعة ككل وتعطي دلالات عن مرتديها، وتتماشى مع ذوقهم، بما تضمنته من نواحي جمالية وعناصر فنية مميزة بعضها ثابت مهما اختلفت أجناس الغجر، وبعضها الآخر متغير حسب المجتمع المحيط بهم والمنخرطين فيه. لتعطي طابعًا معينًا لمرتديها فتكون معبرة عن نوعه ذكرًا أم أنثى، وعمره، ومكان تواجده، ومكانته، وبيئته الثقافية، والمناسبة التي تستعمل فيها. وقد لعبت الأبعاد الجغرافية والزمنية (المكان والزمان) دورًا هامًا في تشكيل الزي الغجري ونوعيته وزخارفه، دون المساس بملامحه وسماته وطابعه الخاص، ومن هنا أتى التمايز.

وتوضح هذه الدراسة إعادة فحص شتى العناصر التراثية المرتبطة بالملابس الغجرية التي يرجع تاريخها إلى أزمنة بعيدة، متأثرة بما مروا عليه، فطبيعة الغجر وعزلتهم وتوزيعهم على أطراف البلاد أثر في الحفاظ على تراثهم وخصوصياتهم، وأكسبهم طابع خاص ومميز.

مشكلة الدراسة

على الرغم من أن الأزياء الغجرية التقليدية تعتبر من الفنون التشكيلة، وتُعَدّ واحدة من أهم مقومات الثقافة لما تحمله من مظاهر الحياة الإنسانية والأحداث التاريخية والجغرافية لمجتمع الغجر، إلا أن الأزياء الغجرية التقليدية لم تحظ بالدراسات الأكاديمية الكافية بالنسبة للملابس وزخرفتها وتطريزها ومكملاتها.

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

1- ما هو أثر البيئة الاجتماعية على أزياء الغجر في مصر عينة الدراسة؟

2- ما هي أبرز جماليات أزياء الغجر والخصائص المميزة لها في مصر؟

3- إلى أي مدى أثرت حياة الغجر في تشكيل أبجديات ملابسهم؟

أهداف الدراسة

1- دراسة الأصول التاريخية لجماعة الغجر في مصر.

2- التعرف على الملابس الغجرية المصرية وتحليل عناصرها البنائية والزخرفية.

3- دراسة أوجه الشبه والاختلاف التي تجمع الأزياء الغجرية في عينة الدراسة وتحليل التركيب البنائي للزي الغجري والقيم الجمالية والفنية للزخارف الموجودة به.

أهمية الدراسة

يُعَدّ موضوع دراسة ملابس الغجر من الموضوعات الغنية المتجددة، وخصوصًا في العالم العربي؛ وقد حظي موضوع الغجر باهتمام الكثير من الجهات؛ سواء على المستوى الدولي، أو الإقليمي، أو العربي، أو الوطني، وقليل من الباحثين اهتم بدراسة أزياء الغجر وقارنها بمخزونه العلمي والثقافي عن مدى تأثر الغجر بملابس البيئة المحيطة بهم. لذا تُعَدّ هذه الدراسة إضافة علمية للمستوى الأكاديمي، وإغناء المكتبة العربية؛ سواء من حيث الطرح أو التصور.

وتكمن أهمية الدراسة في ضرورة رسم طريق واضح المعالم لأزياء الغجر، إلا أن الاتجاه نحو تبني هذا النوع من البحث يحتاج إلى دراسة بيئة المجتمع الغجري؛ سواء الداخلية أو الخارجية، لذا يمكن اعتبار الدراسة بداية الطريق لمساعدة للراغبين في إجراء دراسات تالية أكثر تعمقًا، بغرض دراسة ثقافتهم وأزيائهم أو الاستلهام منهم. وتستمد الدراسة أهميتها من خلال النقاط الآتية:

1- دراسة التراث الشعبي للغجر في مصر، وإبراز جمالياته، ونشره بصورة لائقة لضمان ظهور صفة هذه النوعية المنغلقة على ذاتها، لتوثيقها والاستفادة منها لبقائها واستمرارها والحفاظ عليها من الاندثار.

2- الإضافة إلى المكتبة العربية بدراسة علمية متخصصة في مجال ملابس الغجر في مصر.

3- التعرف على الثقافة الغجرية بشكل عام ونمط أزيائهم بشكل خاص، كونها جماعات تعيش في عزلة مما يساهم في إثراء معرفتنا بهذه الجماعات المتميزة.

أدوات البحث وأساليب جمع المعلومات

1- الزيارات والمقابلات الميدانية: إجراء المقابلات الفردية والجماعية لعينة الدراسة في أماكن تواجدهم وذلك لجمع المعلومات الخاصة عن أزياء الغجر وتقاليد وعادات المجتمع الغجري المصري وتدوين المعلومات والملاحظات.

2- أجهزة التسجيل والتصوير الفوتوغرافي: تسجيل أحاديث متعددة عن الغجر عينة الدراسة، وأخذ صورة دقيقة عنهم وتصوير ملابسهم.

3- استخدام الملاحظة والاستنتاج وتحليل البيانات والمعلومات طبقًا للأهداف المرجوة والمنهج المستخدم.

4- زيارة الجمعيات والجهات الخاصة بالمأثورات وجمع التراث الشعبي.

5- الكتب والمراجع العربية والأجنبية.

6- المجلات العلمية والثقافية والجرائد الورقية والصحف الإلكترونية.

7- المواقع الإلكترونية على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

8- الرسم: وصف تحليلي للملابس من خلال وصف ودراسة الزي الغجري.

أولاً: ملابس المرأة الغجرية في مصر

ملابس المرأة الغجرية فن في ذاته، أبدعه الغجر ليميزهم، وتوارثته الأجيال جيلًا بعد جيل، وطوعوها بما يلاءم خصائصهم وظروف بيئتهم المتغيرة التي يسكنوها، وهي تعكس في كثير من طياتها أثار من تاريخهم، وتاريخ البلد الذي وجدوا فيه، كما تعبر بصدق عن ثقافات الغجر وهويتهم وهي وثيقة الصلة بحياتهم وممارساتهم وطقوسهم.

تتميز ملابس نساء الغجر بأنها أكثر الثياب شهرة وإثارة، ولا تعتمد أشكالها على مجرد الذوق أو الخامات أو الألوان التي تعتمد عليها الملابس، ولكنها استجابة لأعراف وعادات وتقاليد، وكذلك هيئتها وأنماطها وزخارفها، وتقوم أيضًا بوظائف تتجاوز الكساء.

وزي المرأة الغجرية في مصر التي تقطن المناطق الريفية مختلف عن زي النساء التي تسكن المدن، فزي المرأة الغجرية في الريف يتصف بمجاراة العرف والتقاليد السائدة في الريف ودمجه مع العرف والتقاليد والطابع الغجري، وكأنها خليط بين تراثين، وبوجه عام يتسم باستخدام "السفرة" المربعة أحيانًا والمستديرة أحيانًا أخرى. وترتيب العناصر الموجودة في الزي تميزهم، يتعرفون بها ويعرفوننا بهم.

ويرى الباحثون من خلال دراساتهم السابقة للأزياء الشعبية المصرية[؟] والتركيز على أصولها تأثر المرأة الغجرية داخل المناطق القروية في تصميم ملابسها بالمجتمع الريفي، حيث اعتمدت المرأة الغجرية على بعض الرموز المستخدمة والتكوين البنائي والهيكلي للملابس، وهو تأثر طبيعي نتج من تفاعل الغجر مع المكان ومع نوعية الثقافة السائدة حولهم.

وهذا لا يعني أبدًا ارتدائهم لملابس الريفيات، فهن لم يفعلن هذا، لكنهن أخذن من خطوطهم البسيطة وأضفن إليها مكونات وعناصر أخرى في شكل إبداعي تقليدي بدائي بما تتضمنه من نواحي جمالية وعناصر فنية في شكل جديد، لتشكيل ملابسهم وزخرفتها لتعكس أفكارهم وثقافتهم وتميزهم عن غيرهم. وبما أن معظم الآراء تجمع على أن الغجر جميعًا في العالم يرجعون إلى أصل واحد، إذن فبالتأكيد لابد أن تكون العناصر التي تمت إضافتها عناصر مشتركة بينهم لإبراز هويتهم والكشف عن ملامحهم، وتميزهم عن غيرهم، وكذلك تجعل منهم ثقافة فرعية مغايرة ومتمايزة داخل الثقافة المحلية السائدة، فالغجر مشهورين في العالم كله بأنهم شديدي الحفاظ على خصالهم وعلى ثقافتهم ووحدتهم العنصرية، لذا فإنه من الصعب ذوبانهم ذوبان كامل في المحيط الذي يتواجدون فيه.

ويدعم رأي الباحثين ما ذكرته دراسة سابقة،[؟] بأن ملابس المرأة الغجرية تختلف اختلافًا طفيفًا عن ملابس الفلاحة المصرية، فالجلباب الأسود القاتم يُعَدّ زيًا مشتركًا بالنسبة لهما. وهذا يدل على خطأ ما توصل إليه البعض[؟] من أنه لا توجد ملابس قومية للغجر، وأنه عادةً ما يرتدون ملابس البلد التي يعيشون فيها. وذلك دون الإشارة إلى أنهم يضيفون إلى ملابسهم من طابعهم ولمساتهم الخاصة.

وفي معظم جماعات الغجر يرتدي كبار السن ملابس ثقيلة بعضها يشترونها مستعملة، والبعض الآخر يستجدونها من الآخرين، أما الصغار فيظلون معظم الوقت عرايا حتى سن العاشرة، ويسبب ذلك مشاكل كثيرة للمحيطين بهم.

أما عندما نتحدث عن الغجر في المناطق التي زحفت إليها المدنية والتمدن سواء في الريف أو المدن، وأصبح أهلها يرتدين الملابس الحديثة، فنجد الغجر في الغالب يرتدون الملابس الحديثة المعاصرة والسائدة بحسب البلاد التي يعيشون فيها، وكثيرًا

ما نجدهم يصنعون ملابسهم بأنفسهم أو يشترونها مستعملة أو يستجدونها من الأخرين، وتكون عبارة عن عباءة أو جلباب وطرحة أو منديل رأس، ولا يتخلون عن إكسسواراتها.

وترتدي الفتيات الشابات الملابس المعاصرة بتنسيق مُلفت جريء غير مريح للعين، أكثر ما يُميزه مزيج الألوان، واستخدام طبعات ومنقوشات متعددة منها الورود والكاروهات بالإضافة إلى "الشراشيب". وتنسقها في شكل طبقات متعددة مريحة وأحيانًا كثيرة تكون فضفاضة، وعادةً ما تكون مصنوعة من خامات طبيعية مثل: الكتان، والشيفون، والحرير، والجلد، والقطن، والقطيفة.

وترتدي الغجريات الأحذية المريحة وبدون كعب عالي كثيرًا-إلا في الأفراح والاحتفالات الخاصة بهم-كما تعتمد على الإكسسوارات الكثيرة، وتبدع في تنسيقها ببعض من التوازن، وترتدي الخواتم والحلقان والقبعات. كما يصبغن شعرهن إلى اللون الأصفر أو الأحمر، وتنسدل من على رؤوسهن طرحة.

ثانيًا: ملابس المرأة الغجرية في محافظة الشرقية

تعيش جماعات الغجر في الوجه البحري منغلقة على نفسها على هامش المجتمع، وتتسم أحوالهم بالغموض، وتراثهم الشعبي الذي هو بمثابة إرثهم الثقافي الذي توارثوه جيلاً بعد جيل، بالإضافة إلى الأثر البيئي الذي اختلف تأثيره من منطقة لأخرى، هو ما انعكس على كامل أحوالهم. ولهذا فقد لزم التعرف على عالمهم عن قرب لدراسة ملابس وأزياء المرأة الغجرية لإبراز الحيوية الخاصة بالأزياء الشعبية الغجرية التي منحتهم من سماتها العامة وأعطتهم شيء من الخصوصية التي تمكن العين من التعرف عليهم مباشرةً. ويعرض الباحثون فيما يلي نماذج من ملابس نساء الغجر في بعض محافظات الوجه البحري وذلك وفق ما تيسر لها أثناء الدراسة الميدانية في محافظتي الشرقية والدقهلية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن زي نساء الغجر في محافظات الوجه البحري بوجه عام يتسم بتسرب الذوق المصري له، وعناصر الزي الريفي، ولعل هذا يرجع إلى أسباب عدة من أهمها أن مصر لها السبق في مجال ابتكار ثياب تبرز جمال الأجسام، وتظهر بعض الأجزاء على صورتها الطبيعية.

انتشر الغجر في قرى مصر وصحاريها، وتتركز أعداد ملحوظة منهم في محافظة الشرقية، وأكبر تجمع للغجر يوجد في منطقة تسمى "عزبة الغجر" في مدينة الزقازيق، حيث جاءت للمحافظة ذاتها في القرن العشرين أعداد هائلة من الغجر ولكن من محافظات متفرقة كالعريش ومرسي مطروح والدقهلية، وعملوا جميعًا في التجارة الملابس حتى استقروا في هذا المكان. إنهم يتمتعون بعادات وتقاليد خاصة بهم فقط، كما أن الاختلاط بالعالم الخارجي يكون في حدود العمل والبيع والشراء.(٧)

١/٢-الثوب الأول

يُعَدّ زي المرأة في محافظة الشرقية ذات طابع خاص ومميز، ومن خلال الدراسة نجد أن هناك تنوعًا للعناصر الزخرفية وعادةً ما يتم استخدام ألوان كثيرة، وتطريز بخامات مختلفة مع أقمشة مطبوعة مع بعض الشرائط الملونة والتي تختلف وتتباين مع لون الثياب الرئيس. وإذا فحصنا الزي الأول يتبين لنا أنه عبارة عن جلباب طويل بسفرة دائرية على منطقة الصدر تشبه (الكول بيبيه)، وفتحة رقبة متسعة، تنتهي بشريط من نفس لون السفرة، تقفل السفرة برابط، بدون أزرار أو عراوي، يجعل المرأة الغجرية ترتدي قطعة أخرى من تحته، وتنتهي بشريط من الدانتيل العريض الملون (كُلفة) (تنتنة بلغتهم) ومثبت عليها شرائط من الستان الرفيع بألوان متعددة لتقسيم السفرة لعدة أجزاء بينهم شريط ستان رفيع مُركب على شكل مثلثات صغيرة لتزيين السفرة.

أسفل السفرة يوجد شريط مذهب عريض يتدلى منه كورنيش من الدانتيل العريض، به استك مدكوك على منطقة الوسط يثنى الجزء العلوي على الجزء السفلي في الزي ليصنع (بليزون)، يصنع كشكشة كثيفة تُضفي قيمة جمالية لعنصر الخط تعيد توزيع النقوش المطبوعة على قماش الزي، ويُعطي اتساع وراحة أسفل منطقة الوسط، وبعد مسافة تساوي مقدار الجزء العلوي تقريبًا أو أقل بقليل مثبت كرنيش من الدانتيل المثبت أعلاه شريط ستان بلون مخالف للون الدانتيل ولون الجلباب، وبعده بمسافة (١٠:١٥) سم على منطقة الركبة مثبت شريطين من الستان الرفيع وينتهي الجلباب بشريط من الدانتيل العريض من نفس لون الدانتيل المستخدم على السفرة على هيئة كورنيش.

والجلباب مقفول من الخلف، وكم الجلباب واسع وينتهي باتساع أكثر، مزخرف من أعلى بشريط من الدانتيل وينتهي من أسفل بكرانيش من الدانتيل العريض على مسافات متباعدة، تعطي احساس بالاتساع وشعور بالحركة، وتساعد على إضفاء بعض الطول على الكم، ومثبت على بداية الكورنيش الأول من أعلى شريط ستان رفيع مثبت على هيئة مثلثات صغيرة، وينتهي الكم بقطعة قماش من نفس قماش السفرة مضمومة باستك، كأنها أسورة واسعة.

ويعتمد الزي في تنسقه على الألوان المتعددة الموزعة بطول الجلباب، كما يعتمد استخدام كرانيش من الدانتيل العريض وعلى شرائط الستان الرفيعة الملونة لتعطي شكل جمالي زخرفي، ويخلق عناصر مختلفة ضمن بناء التصميم.

أما بالنسبة للأقمشة المستخدمة فنجدها أقمشة رخيصة الثمن مزركشة ومطبوعة. تخلق منظر جمالي غير مألوف ومناسب لطبيعة وطباع الغجر.

صورة رقم (١)

ثوب سيدة من الغجر في محافظة الشرقية – الثوب الأول

صورة رقم (٢)

تفاصيل منطقة الصدر لثوب امرأة غجرية في محافظة الشرقية – الثوب الأول

١/٢-الثوب الثاني

إذا فحصنا هذا الزي نجد أنه عبارة عن جلباب طويل بأكمام من من خامة الدانتيل الشبك الضيق، وفتحة الرقبة دائرية ضيقة وهي جزء من سفرة من قماش مطبوع مزخرف يغلب عليها اللون البرتقالي، يحيط بالسفرة شريط من الدانتيل الوردي، وهي عبارة عن كول بيبي دائرية صغيرة (طايرة) كحلية زخرفية بلون مخالف للون الجلباب، مدكوك فيها شريط رفيع تربط لتقفل منه، محدثًا كشكشة حول العنق، تلقي أشعة الكشكشة وتنتهي بشريط دانتيل رفيع بلون أزرق فاتح (لبني) من جهة والنصف الثاني مزخرف بشريط دانتيل أبيض، واللونان يتباينان مع لون الثوب الأسود.

يوجد أسفل الياقة العلوية الدائرية الصغيرة سفرة علوية طائرة "طايرة" نصف دائرية مثبتة من الكتف فقط، وهي من قماش أحمر غامق مطبوع، ومطرزة على بشريط ستان رفيع بشكل زخرفي يشبه قدم الطائر أو فرع نبات، ومثبت في نهاية السفرة شريط ستان رفيع باللون التركواز ويتدلى منه كورنيش من الدانتيل العريض، يتدلى من منصف الجزء الأيمن والأيسر شريط لقفل الجلباب. أما عن فتحة الرقبة للثوب فهي عميقة مزخرفة بثلاث شرائط من الستان الرفيع بألوان فضي وذهبي وفوشيا، وتنتهي بقصة صدر عريضة بها شرائط عريضة وقصيرة متجاورة وبينهم مسافات متساوية، مصنوعة من نفس لون الجلباب، ويظهر بينهم اللون الأحمر كبطنة من نفس قماش السفرة الكبيرة (الطايرة).

يُنصف الثوب قصة عرضية فوق الوسط مباشرًا بها استيك تثنيه المرأة، يتشعب منه كشكشة تعطي شكل زخرفي وجميل وتخلق اتساع وحركة في الثوب من أسفل. والجزء السفلي من الجلباب به عدد كورنيشين مثبتين على الثوب من الخارج بدون قصات، من شرائط الدانتيل العريض بألوان مختلفة، وفي نهاية الثوب شريط دانتيل رفيع من اللون الأبيض، ويصل الثوب على نهاية الأقدام.

وأكمام هذا الثوب فضفاضة بها كورنيش طولي يبدأ من أعلى الكم من نفس قماش الثوب ومزين بشرائط الستان الرفيعة، مثبت قبل نهايته كورنيش من نفس قماش الثوب، فوق الكورنيش مزخرف بشرائط الستان الذهبي والفوشيا مثلثات صغيرة

رأسهم في اتجاه الكم من أعلى وقاعدتهم ناحية المعصم، يتشعب منهم كشكشة شريط دانتيل عريض من اللون الأحمر، ويتدلى منه كورنيش أكبر من نفس لون وخامة الثوب وينتهي بشريط دانتيل عريض باللون الأبيض.

صورة رقم (٣)

تفاصيل منطقة الصدر في ثوب امرأة غجرية في محافظة الشرقية – الثوب الرابع

صورة رقم (٤)

ثوب امرأة غجرية في محافظة الشرقية – الثوب الثاني

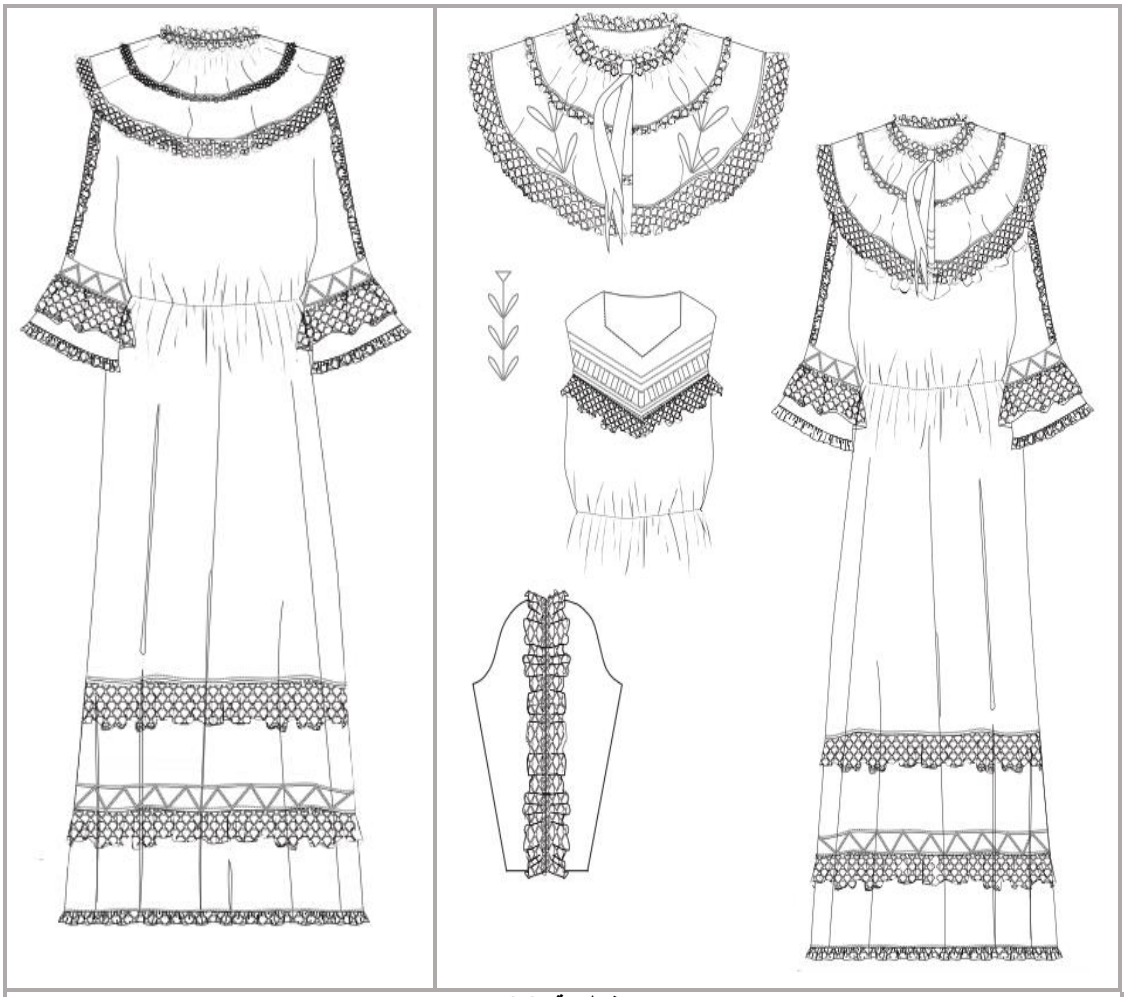

شكل رقم (١)

يوضح الرسم المسطح لنموذج من ملابس الغجر في محافظة الشرقية (الأمام-الخلف)

ثالثًا: ملابس المرأة الغجرية في محافظة بني سويف

أما عن ملابس المرأة الغجرية في الوجه القبلي، فقد حاول الباحثون من خلال الدراسة الميدانية التعرف على ملامحها والحصول على عينات مختلفة منها، وقد تمكنوا من هذا أثناء زيارة مولد السيد البدوي في طنطا (محافظة الغربية) خلال شهر أكتوبر ٢٠١٩.

وقد شاهد الباحثون على مدار أيام انعقاد المولد جماعات الغجر التي أتت من جنوب مصر خصيصًا لزيارة مظاهر احتفال المولد، وقد لاحظوا على أرض الواقع ما تم جمعه من معلومات وصور عنهم من خلال الدراسة النظرية، فشاهدوا الحرف التي يمارسها الغجر بصفة مؤقتة على هامش انعقاد المولد، كالحاوي والبهلوان، والراقصة (الغازية)، وتعرفوا على بعض الأسر الغجرية من محافظة بني سويف، وتجاذبوا أطراف الحديث معهم.

ولرصد واقعهم أكثر عن قرب فقد ذهب الباحثين إلى أماكن تواجد جماعات الغجر في محافظة بني سويف لاستكمال ما بدأوه والحصول على صورة حية من ثقافات وفنون وملابس المرأة الغجرية. وتبين لهم من خلال المقارنة أن الزي والذوق الغجري العام يتبعان كل تغير بيئي أو سياسي أو اجتماعي أو ديني، فالتغيرات من مكان لأخر ومن عقيدة لعقيدة جديدة في مجتمعات الغجر، إنما تشبه المتغيرات التي تحدثها الطبيعة في أثناء الانتقال من أحد الفصول كالشتاء مثلاً إلى الربيع إذ

تضطر بعض الكائنات إلى تغيير لون فرائها، وتلزم الطيور أن تهاجر إلى مواطن جديدة. وفيما يلي نماذج من أزياء نساء الغجر في محافظة بني سويف:

١/٣-الثوب الأول

تختلف ثياب الغجر الموجودين في محافظة بني سويف، كأنها مرآة تحمل ملامح جديدة لمجتمع أخر وبيئة مختلفة، وثقافة مغايرة، وتختلف اختلافًا واضحًا عن ملابس الغجر في الوجه البحري، فالغجر يلبسون ثياب في الوجه القبلي أبسط، فاستبدلوا التفاصيل المزدحمة والألوان المتعددة والشرائط المتحركة في الثوب كله، والشاهد في هذا الثوب أنه في شكله وبنائه عبارة عن جلباب شعبي عادي، لا يطرأ عليه تغير إلا على منطقة الصدر، كأنه ثوب مهجن، ثياب شعبي مصري بطابع ولمسات غجرية، وهي ما تضفي على الثوب شيئًا طابعهم.

والثوب واسع بسفرة على الصدر مربعة أو دائرية أحيانًا، عليها شارات تبدأ من الكتف على شكل قصات بطول السفرة يختلف عرضها من ثوب لآخر، تقسم منطقة الصدر، مثبت على حدود القصات وعلى السفرة شرائط وحليات زخرفية من الستان الذهبي والستان الملون. يتوسط الصدر فتحة للأزرار والعراوي أطول من السفرة الأمامية، حوله الشرائط الزخرفية التي تظهره وتضيفه شكل جمالي.

يغطي السفرة كولة عرضية كبيرة تنسدل حول الرقبة وتغطي الكتفين، مثبت بها شريط زخرفي من الدانتيل العريض بلون مغاير عن لون الثوب، ويفصل بينه وبين الكولة شريط ستان ذهبي مُثبت على أوله.

والثوب واسع من أسفل الصدر، ويتصل بالقدم وله أكمام طويلة إلى المعصم، تبدأ الأكمام من أعلى بشارتين من نفس قماش قصات السفرة وينتهي الكم بأستك عند المعصم يضم اتساع الكم عند راحة اليد ويخلق كشكشة بسيطة تضفي شكل جمالي على الكمين وعلى الثوب كله. وترتدي المرأة عليه طرحة تلفها حول رأسها كاملة أكثر من طبقة، ويظهر منه حلق كبير خاص يميزهم.

صورة رقم (٥)

ثوب امرأتان غجريتان من محافظة بني سويف – الثوب الأول

صورة رقم (٦)

نماذج من ثوب المرأة الغجرية في محافظة بني سويف – الثوب الأول

٢/٣-الثوب الثاني

لا تنكر العين أن هذا الثوب له شخصية خاصة ومتفردة به وحده، منسلخ من ملابس الغجر، ينطوي عليه صورة من البيئة الذي نشأ بها، يتألف من زخارف على هيئة طلاسم في شكل تشكيلات بنائية. وهو ثوب خاص تلبسه فتيات الغجر، جاهز يُباع في القرى والموالد التي ينزلون بها، ولا يقبل عليه غيرهم، كأنه محرم برموزه وزخارفه على غيرهم.

والثوب مصنوع من القماش الجيرسيه المزركش الثقيل، ألوانه غامقة كالأحمر الغامق (النبيتي)، والموف أو البنفسجي، أو الأخضر الذيتي، والغريب في الثوب أنه ترجمة لملابس الغجر الشعبية المصرية بتفاصيلها وشاراتها وزخارفها في شكل ملابس جاهزة، يُصنع بإنتاج كمي ويحمل نفس أبجدية ملابس الغجر، وكأن صانعها يلخص بهذا الثوب في لونه وتفاصيله معالم من شيخوخة حياة الغجر، لترتديها الفتيات والشابات لتعبر عنهم بزخارف وتفاصيل غير مفهومة مثلهم.

يتسم الثوب بوجه عام بأنه طويل مزركش بسفرة على الصدر نصف بيضاوية، تحلى بقطعة من الدانتيل الأسود، ومثبت حولها فصوص سوداء لا تتغير، وينصف الشكل البيضاوي حلية من المعدن دائرية الشكل كأنها زر كبير أو بروش، يتدلى منها سلاسل صغيرة من الخرز الأسود على شكل ثلاث سلاسل صغار متدرجين في المقاس. وفتحة عنق الثياب عميقة.

أما عن منطقة الوسط، فتحلى بحزام عريض مثبت به حزام أرفع من الأمام مرورًا على الجانبين، في منتصف الحزام العريض حلية على هيئة فراشة مطرزة لا يتغير شكلها ولا مكانها. ربما تعبر عنهم كرمز لترحالهم.

وأسفل الحزام خط زخرفي طولي بطول الثياب يشق الثوب من الأمام وعلى جانبي الثياب أيضًا في الجزء الأمامي تتكرر نفس الزخرفة من منطقة الوسط إلى القدم. وأكمام الثوب ضيقة طويلة تزخرف بقطعة قماش عريضة من الدانتيل الأسود المضافة إلى الكم قبل نهايته.

وترتدي المرأة معه كثير من العقود الملونة حول منطقة الرقبة والتي تتدلى على الصدر، كما تزين معصمها بالاكسسوارت البلاستيك والغوايش الفالصوا رخيصة الثمن وحلق كبير متصل ببعضه بشريط حلية يمر فوق الرأس ليصل الفردتين ببعضهم.

صورة رقم (٧)

نماذج من ثوب المرأة الغجرية في محافظة بني سويف – الثوب الثاني

خاتمة

انتمى الغجر إلى شعوب عدة منذ بداية هجرتهم إلى أوربا في القرن الرابع عشر، وانخرطوا في كثيرًا من البيئات، وتشكلوا تبعًا لكل بيئة يحلون بها، وتشكلت ملابسهم وخاماتها المستخدمة من مكان لآخر، أخذوا من العناصر الموجودة وأعادوا صياغتها ضمن ملامح ثابتة وسمات أساسية في أزيائهم اتفقوا عليها وعُرفوا بها. ويظهر ذلك بوضوح في شكل ملابس الغجر بوجه عام في مصر من حيث التمسك بمفردات التصميم العام ونوع النسيج، بجانب الزخارف والتطريزات المستخدمة، وكثيرًا ما يقتصر على إعادة صياغة الملابس القديمة لمعالجتها وإعادة استخدامها.

وتتميز ملابس نساء الغجر في مصر باستخدام الخامات المحلية الرخيصة غالبًا، ألوانها فاتحة ومتعددة ومندمجة مع بعض بأسلوب فطري غير منظم، لكنه محبوب. كما أن هناك طلاقة في الأسلوب الزخرفي من حيث صياغة عناصر متنوعة في الزي الواحد مع بعضها البعض بتقنيات وأحجام مختلفة في شكل غير مألوف للعين، مستخدمين بعض من عناصر الملابس التي توجد في ملابس جيرانهم من غير الغجر، فتُصاغ بفطرتهم وأسلوبهم مشكلةً ثوب جديد مرتبط بجذور الماضي ومتأثر ببيئة الحاضر.[٨]

نتائج الدراسة

– تحقق للباحثين من خلال الدراسة العلمية أن الثياب الغجرية تتأثر بالبيئة التي تتواجد فيها الغجر وتستخدم بعض من عناصر الملابس التي توجد في ملابس جيرانهم من غير الغجر حولهم فتصاغ بفطرتهم وأسلوبهم الذي يميزهم عن غيرهم. ويتصف الفن الغجري بالأصالة لارتباطه وتأثره بجذور الماضي والحضارات والبيئات التي مروا عليها ووجدان الصانع.

– وقد تحقق الباحثين من أن الاتجاه للخطوط البنائية البسيطة في الأزياء، وصياغة عناصر متنوعة في الزي الواحد مع بعضها البعض بتقنيات وأحجام مختلفة في شكل غير مألوف للعين واستخدام الملابس الفضفاضة غير الملتصقة والاعتماد على الطبقات المتعددة من أهم السمات التي تتميز بها ملابس الغجر. وأن الطلاقة في الأسلوب الزخرفي لعمل صياغات

غير مألوفة والميل إلى الزخرفة والمبالغة في إبراز العناصر الرئيسة سواء في حجمها أو تكرارها أو الألوان الخاصة بها واستخدام الألوان الزاهية المتعددة هي من أهم جماليات أزياء الغجر حيث يلعب اللون دورًا أساسيا في أزياء الغجر، فهي لغة يتحدثون بها، ويعتمدوا على استخدام الألوان الجريئة الزاهية والصاخبة المنوعة بجميع تدرجاتها، والمزج بين الألوان الصاخبة وأخرى الدافئة، وهذا لا يقتصر فقط في اختيار درجات الألوان الجريئة بل في الدمج فيما بينها دون التقيد دون التقيد بالقواعد الكلاسيكية، لنصل إلى تشكيلة غير متوقعة من الألوان مليئة بالحياة بكل حرية، وتعبر عن اسلوبهم الخاص وتركز على العشوائية في التوزيع التي تعكس الطاقة والحركة والحرية، مجمعة بأسلوب فطري ومكونة صياغات غريبة مستمدة من ثقافتهم وأسلوب معيشتهم. استخدام الإكسسوارات الكبيرة والكثيرة، مع الإبداع في تنسيقها ببعض من التوازن، ويرتدون الخواتم والحلقان والقبعات والحُلِيّ حول المعصم والرقبة. ويغلب عليهم استخدام الإكسسوارات كأن بينهم اتفاق ضمني غير مكتوب على علامة تميزهم ويعرفون بها بعضهم البعض على اختلاف أعمارهم وأماكن تواجدهم.

– لقد أثرت حياة الغجر في تشكيل أبجديات ملابسهم كثيرًا وظهر ذلك في استخدام الخامات المحلية من البيئة، واستخدام الخامات الرخيصة غالبًا والقطنية المريحة، منها السادة والمنقوش، المضاف إليها بعض الشرائط الملونة والتي تختلف وتتباين مع الثياب. وصنع الغجر ملابسهم غالبًا بأيديهم، فنادرًا ما يحتاجون إلى شراء ثياب من الأسواق، وكثيرًا ما يقتصر الأمر على إعادة صياغة الملابس القديمة لمعالجتها وإضافة الطابع الغجري عليها لإعادة استخدامها. أما الغجر ميسوري الحال، فيشترون الملابس المتوفرة في البيئة التي يستقرون فيها.

قائمة الإخباريون والمراجع العربية والأجنبية

أولاً: الإخباريون

– أم جمعة، كفر صقر، قرية سنجها، محافظة الشرقية. (٧٥ سنة)

Am jm'eh, kfr sqr, qryh snjha, mhafzh alshrqyh. (75 snh)

– عادل صفوت، العمرانية، محافظة الجيزة. (٢٨ سنة)

'Eadl sfwt, al'emranyh, mhafzh aljyzh. (28 snh)

– العمدة أحمد عيد نجم، الخورمان، مركز الواسطى، محافظة بني سويف. (٥٤ سنة)

Al'emdh ahmd 'eyd njm, alkhwrman, mrkz alwasta, mhafzh bny swyf. (54 snh)

– نورا حسن قرني فرج، شارع الأردن، مركز الواسطى، محافظة بني سويف. (٣٥ سنة)

Nwra hsn qrny frj, shar'e alardn, mrkz alwasta, mhafzh bny swyf. (35 snh)

ثانيًا: المراجع العربية

– إسماعيل، عُلا الطوخي. الأزياء الشعبية المصرية كمدخل لابتكار ملابس معاصرة (رسالة ماجستير غير منشورة). حلوان: كلية الفنون التطبيقية -جامعة حلوان، ٢٠١٦.

Esma'eyl, 'eula altwkhy. alazya' alsh'ebyh almsryh kmdkhl labtkar mlabs m'easrh (rsalh majstyr ghyr mnshwrh). hlwan: klyh alfnwn alttbyqyh - jam'eh hlwan, 2016.

– حسين، فوزيه. الأزياء الشعبية للمرأة المصرية في محافظة الجيزة (أطروحة دكتوراه). القاهرة: كلية الاقتصاد المنزلي، جامعة حلوان، ١٩٧٩.

hsyn, fwzyh. alazya' alsh'ebyh llmrah almsryh fy mhafzh aljyzh (atrwhh dktwrah). alqahrh: klyh alaqtsad almnzly, jam'eh hlwan, 1979.

– حنا، نبيل صبحي. البناء الاجتماعي والثقافة في مجتمع الغجر: دراسة أنثروبولوجية لتأثير البناء والثقافة والشخصية على التكامل الاجتماعي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣.

Hna, nbyl sbhy. albna' alajtma'ey walthqafh fy mjtm'e alghjr: drash anthrwbwlwjyh ltathyr albna' walthqafh walshkhsyh 'ely altkaml alajtma'ey. alqahrh: dar alm'earf, 1983.

– ستيلمان، يديدا كالفو. تاريخ الأزياء العربية منذ فجر الإسلام إلى العصر الحديث/ ترجمة: صديق محمد جوهر. أبو ظبي: دائرة الثقافة والسياحة، كلمة، ٢٠١٩.

Stylman, ydyda kalfw. tarykh alazya' al'erbyh mnd fjr aleslam ela al'esr alhdyth/ trjmh: sdyq mhmd jwhr. abw zby: da'erh althqafh walsyahh, klmh, 2019.

– عبد المقصود، سارة إبراهيم محمد. دراسة تأثير البيئة الاجتماعية على الزي الشعبي للغجر والاستفادة منه في استحداث تصميمات معاصرة (أطروحة دكتوراه). دمياط: جامعة دمياط، كلية الفنون التطبيقية، ٢٠١٩.

'Ebd almqswd, sarh ebrahym mhmd. drash tathyr alby'eh alajtma'eyh 'ela alzy alsh'eby llghjr walastfadh mnh fy asthdath tsmymat m'easrh (atrwhh dktwrah). dmyat: jam'eh dmyat, klyh alfnwn alttbyqyh, 2019.

– عماره، سارة. "الشرقية الآن: تقتحم حياة الغجر وتكشف تفاصيلها" (موقع الشرقية الآن). منشور بتاريخ ٤ أكتوبر ٢٠١٥. ومتاح بتاريخ ٢٠٢٠/١٢/٢٨ (http://sharkiaalaan.com/News-50-.html).

'Emarh, sarh. "alshrqyh alan: tqthm hyah alghjr wtkshf tfasylha" (mwq'e alshrqyh alan). mnshwr btarykh 4 aktwbr 2015. wmtah btarykh 28/12/2020 (http://sharkiaalaan.com/News-50-.html).

– النحاس، خالد السيد محمد عبد ربه. أثر التراث الشعبي على أزياء مسرح العرائس. القاهرة: كلية الاقتصاد المنزلي، جامعة حلوان، ٢٠٠٢.

Alnhas, khald alsyd mhmd 'ebd rbh. athr altrath alsh'eby 'ela azya' msrh al'era'es. alqahrh: klyh alaqtsad almnzly, jam'eh hlwan, 2002.

ثالثًا: المراجع الأجنبية

− Newbold F.R.S (Captin)., The Gypsies of Egypt, The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, Vol. 16 (1856), Pp. 285-312 (28 pages).

− Panaitescu P. P., ContribuŃii la istoria culturii româneşti, Minerva Publishing House, Bucharest, 1971 (in Romanian language).

---

(١) يديدا كالفو ستيلمان، تاريخ الأزياء العربية منذ فجر الإسلام إلى العصر الحديث/ ترجمة: صديق محمد جوهر.– أبو ظبي: دائرة الثقافة والسياحة، كلمة، ٢٠١٩، ص ص ١٧.

(٢) خالد السيد محمد عبد ربه النحاس، أثر التراث الشعبي على أزياء مسرح العرائس.– القاهرة: كلية الاقتصاد المنزلي، جامعة حلوان، ٢٠٠٢. ص ٢٥.

(٣) فوزية حسين، الأزياء الشعبية للمرأة المصرية في محافظة الجيزة (أطروحة دكتوراه).– القاهرة: كلية الاقتصاد المنزلي، جامعة حلوان، ١٩٧٩، ص ص ١٧.

(٤) غلاظ وخي إسماعيل، الأزياء الشعبية المصرية كمدخل لابتكار ملابس معاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون التطبيقية – جامعة حلوان، ٢٠١٦.

(٥) أشير ويلدا لاحقًا ذكره نبيل صبحي في دراسته عن مجتمع الغجر، راجع: نبيل صبحي حنا، البناء الاجتماعي والثقافة في مجتمع الغجر: دراسة أنثروبولوجية لتأثير البناء والثقافة والشخصية علي التكامل الاجتماعي.– القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣، ص ص ٣٩ – ٩٤.
See: Newbold F.R.S (Captin)., The Gypsies of Egypt, The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, Vol. 16 (1856), Pp. 285-312 (28 pages).

(٦) سارة إبراهيم محمد عبد المقصود، دراسة تأثير البيئة الاجتماعية على الزي الشعبي للغجر والاستفادة منه في استحداث تصميمات معاصرة (أطروحة دكتوراه).– دمياط: جامعة دمياط، كلية الفنون التطبيقية، ٢٠١٩، ص ص ٦٦.

(٧) سارة عماره، "الشرقية الآن: تقتحم حياة الغجر وتكشف تفاصيلها".– موقع الشرقية الآن– منشور بتاريخ ٤ أكتوبر ٢٠١٥. ومتاح بتاريخ ٢٠٢٠/١٢/٢٨ (http://sharkiaalaan.com/News-50-.html).

[8] − Panaitescu P. P., ContribuŃii la istoria culturii româneşti, Minerva Publishing House, Bucharest, 1971 (in Romanian language)